مجموع

الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر باعلوي

مجموع مشتمل على ثلاث وعشرين رسالة
وعلى ديوان ومنظومة ووصية

تأليف
الإمام العالم الشريف
الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر باعلوي
رحمه الله تعالى
(١١٩١هـ - ١٢٧٢هـ)

دار الحاوي
دار السنابل

الرسالة السابعة

فرائد الفوائد من فتح جميل العوائد

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إلـه إلاَّ الله الملك الحق المبين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين ، صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه والتابعين .

أما بعد :

فهـٰذه فوائد بحسب الوارد من فتح جميل العوائد ، علىٰ عبده القاصر عبد الله بن حسين بن طاهر .

فَائِدَة

قال صلى الله عليه وسلم : « المؤمن مرآة المؤمن » .

اِعْلَمْ ـ وفقني الله وإياك لرضاه وأهَّلنا لكمال عطاه ـ : أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أُعطيَ جوامع الكلم ، ولكل كلمةٍ من كلامه معانٍ كثيرةٌ ، وفهومٌ غزيرةٌ ، وكلٌّ يأخذ منها علىٰ قدر ما أعطاه الله من الفهم والنور ، فمن معاني هـٰذا الحديث ؛ وهو قوله : « المؤمن مرآة المؤمن » يعني أن المؤمن يرىٰ في أخيه المؤمن أخلاقاً حسنة فيقتدي به فيها ، ويرىٰ فيه أخلاقاً سيئةً فيعلم أن في نفسه أمثالَها ، فيطالب نفسه بإماطتها والتخلِّي عنها .

معنىٰ قوله صلى الله عليه وسلم : « المؤمن مرآة المؤمن » يعني أن المؤمن يرىٰ في أخيه المؤمن عيباً ، فيأمره بإماطته ، ويطالبه بإزالته ، فيكون له كالمرآة

يرىٰ بتعليم أخيه له عيب نفسه ؛ كما تحكي المرآة عيب نفسه .

معنىٰ ثالث : قوله صلى الله عليه وسلم : « المؤمن مرآة المؤمن » يعني أن المؤمن يرى المؤمنين فيتجَلَّون له بحسب ما في باطنه من خيرٍ أو شرٍّ ؛ فإن كان باطنه سليماً صافياً ، نقياً تقياً ، صادقاً عارياً من الأخلاق الخبيثة . . رأى المؤمنين كذلك ، وظنَّ بهم الظنَّ الحسن ، ولم يجوّز غيره ألبتة ، فتراه ينخدع لكل من خدعه ، ويُصدِّق بكل ما يقال له ؛ لأنه يرىٰ ما عنده فيظنه بهم ، ويراهم كأنهم متخلِّقون بالأخلاق السليمة التي جُبل عليها ، وهـٰذه فضيلةٌ ومزيةٌ حسنةٌ يطبع الله عليها كثيراً من المؤمنين وإن كان أعلىٰ منهم وأكمل من يرى الأشياء علىٰ ما هي عليه صحةً وفساداً ، وصلاحاً وفسقاً .

وإن كان الإنسان الناظر إلى المؤمنين خبيث الطوية سيء الأخلاق شريراً ـ والعياذ بالله تعالىٰ ـ . . تجلَّتْ له صورته في كل من رآه من المؤمنين ، فلا يرىٰ أحداً إلاَّ ويظن به السوء ؛ لما تحقَّق عنده من أخلاق نفسه ، فلم يجوِّز عليهم خلاف ما عنده وقاسهم علىٰ نفسه ، قال صلى الله عليه وسلم : « إذا قال الإنسان : هلك الناس . . فهو أهلَكُهم » .

وقال الشاعر :

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه ... وحَقَّق ما يعتاده من توهمِ
وعادىٰ محبيه بقول عِداته ... وأصبح في شكٍّ من الليل مظلمِ

جاء رجلٌ إلىٰ بعض الصالحين المشهورين بالولاية ، فقال ما معناه : يا سيدي ؛ رأيتك في المنام كأنك في صورة خنزير ؟! فقال له الشيخ رحمه الله تعالىٰ : تلك صورتك لا صورتي ؛ لأنك لمَّا قابلتني . . تجلَّتْ صورتك فيّ ، فرأيتَها فظننتَها صورتي ، وإنما هو صورتك تجلَّت فيَّ ، ولو كانت صورتك حسنة . . لتجلَّتْ فيَّ بصورةٍ حسنةٍ لَمَّا رأيتني ؛ ولذلك نقول : كل مَنْ رأى النبي صلى الله عليه وسلم بصورةٍ حسنةٍ . . فهو دليلٌ علىٰ حُسْنِ حال الرائي ، وإن رآه بغير ذلك . . فهو دليل علىٰ نقصٍ في الرائي .

ولا نقول : إن هـٰذا الكلام على الإطلاق ، وإنما هو مقيَّدٌ بحال الناقص للكامل أو المماثل أو المجهول ، في اليقظة أو في المنام ، فما رآه الإنسان في المؤمنين . . فهو في الغالب عينُ حاله ؛ إن خيراً . . فخيرٌ ، وإن شراً . . فشر .

وأما أهل الكمال كالأنبياء عليهم الصلاة والسلام وكل ورثتهم ؛ فكل ما رأوه في إنسان في يقظةٍ أو منامٍ من صلاحٍ أو فسادٍ . . فهو عين حال ذلك الإنسان ؛ لأن صورهم لا تتجلَّىٰ في الغير لكثافة الغير ، وإنما الغير يتجلَّىٰ فيهم ؛ لصفائهم فيرونه علىٰ ما هو عليه من حقيقة الحال ، قال صلى الله عليه وسلم : « اتقوا فراسة المؤمن ؛ فإنه ينظر بنور الله » .

وهـٰذا خاصٌّ بأهل الله ، فالحذرَ كلَّ الحذرِ من الغرور ؛ فإنه رأس الشرور .

معنىٰ رابع : قال صلى الله عليه وسلم : « المؤمن مرآة المؤمن » يعني أن المؤمن الكامل الإيمان مرآة ، يعني: موضع تجلي جلية المؤمن ؛ أي : الله سبحانه وتعالىٰ ؛ لأن من أسمائه تعالى المؤمن ، وقلب المؤمن محل معرفة الله ؛ قال الله سبحانه وتعالىٰ : (لن تسعني أرضي ولا سمائي ، ووسعني قلب عبدي المؤمن) .

وفي الحديث : « القلب بيت الرب » يعني: موضع معرفته ، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم .

اللهم ؛ إنا نسألك من خير ما سألك منه عبدك ونبيك محمدٌ صلى الله عليه وسلم ، ونعوذ بك ممَّا استعاذ منه عبدك ونبيك محمدٌ صلى الله عليه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

فَائِدَةٌ أُخْرَىٰ

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ : أن السابقة الحسنة ، والسعادة الأزلية ، والهداية وسائر الأخلاق الحسنة المرضية مثل البذور في القلوب ، والدعوة إلى الله تعالىٰ والمواعظ والدعاة والمذَكِّرين مثل الأمطار والرحمات ، والقلوب مثل

الأراضي ، فإذا وقعتِ الدعوة والمواعظ من الدعاة والمذكِّرين على القلوب ؛ فإن وقعت على القلوب التي سبقت لها من الله الحسنىٰ وآن أوان إنابتها ورجوعها إلى الله . . أصغت وأقبلت ، وأطاعت وانقادت ، واتَّبعتْ واهتدتْ مثل الأمطار إذا وقعت وقت الربيع على الأراضي الطيبة النقية المبذرة بالبذر النافع الطيب . . فلا يخفىٰ ما تأتي به تلك الأرض من المنافع ، وإن وقعت الدعوة علىٰ قلوبٍ خليةٍ من الأخلاق الحسنة والخبيثة . . لم تتأثر بها كالأمطار إذا وقعت على الأحجار .

وإن وقعت الدعوة علىٰ قلوبٍ مُلئت من الأخلاق الخبيثة ، وحقَّت عليها الشقاوة ـ والعياذ بالله تعالىٰ ـ . . قابلت الدعوة إلى الله والداعين والمذكرين بالتكذيب والاستهزاء والعناد ، والتَّأَبِّي والإيذاء والعداوة ؛ كالأرض الخبيثة المَلأىٰ ببذر الأشجار الخبيثة المؤذية بالشوك وغيره ، وإفساد الأرض ، وعدم النفع ؛ فإنها إذا وقعت عليها الأمطار . . أنبتت ما فيها من كل شجرةٍ مؤذيةٍ ، وكلما زادت عليها الأمطار . . كثر شوكها ، وعظم وزاد ضررها ، وصار لا دواء لها إلاَّ قلعها أو إحراقها .

اللهم ؛ اجعلنا من الذين سبقت لهم منك الحسنىٰ يا أرحم الراحمين ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلَّم ، والحمد لله رب العالمين .

فَائِدَةٌ أُخْرَىٰ

اِعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ : أن الفرح والأُنْس والسرور والرضا وانشراحَ الصدر . . ليس هو بحسب مواتاة الأسباب وموافقتها للإنسان ، ولا ضدَّ هـٰذه الأشياء بحسب تشويش الأسباب ومخالفتها عليه ، بل هو أمرٌ معنويٌّ يخلقه الله سبحانه وتعالىٰ في قلب من يشاء من عباده ، فربَّ شخصٍ في ضنكٍ في معاشه أو بلاءٍ في جسمه أو غير ذلك من المكدِّرات والمنغصات وهو مع ذلك منبسطٌ فرِحٌ مسرورٌ مستبشرٌ حتىٰ إنه يسري ذلك الانبساط والأنس إلىٰ من جالسه أو رآه أو ذكره .

ورب شخصٍ آخر في رفاهية من العيش ، وعافية في الجسم ، وأمن من المخاوف ، وفراغ من الشواغل ، وهو مع ذلك ضيِّق الصدر ، متكدِّر البال والقلب ، مهمومٌ محزونٌ ، مكروبٌ مشوَّشٌ ، تكثف القلوب من ذكره فضلاً من رؤيته أو مجالسته .

اللهم ؛ اهدنا لأحسن الأخلاق ؛ فإنه لا يهدي لأحسنها إلاَّ أنت ، واصرف عنَّا سيئها ؛ فإنه لا يصرف عنا سيئها إلاَّ أنت ، برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمدٍ وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

فَائِدَةٌ أُخْرَىٰ

اعلم رحمك الله أن الأخلاق الحسنة ، والأحوال المرضية ، والأفعال الجميلة لذيذةٌ في الحال ، وهي سبب اللذة في المآل ؛ فهو من الآن يجتني ثمرتها ، والأخلاق السيئة نكال في الحال ؛ ولعذاب الآخرة أشد وأخزىٰ ، مثال ذلك : الراضي عن الله ، والقانع بما أعطاه ، والزاهد في الدنيا والآنس بذكر الله تعالىٰ ، فترىٰ صاحب هـٰذه الأحوال في راحةٍ قد تعجلها الآن في الدنيا لا مزيد عليها ، وله مع ذلك الثواب الجزيل والوعد الجميل في الآخرة ، وبضدِّ ذلك الساخط عن الله الحريص الطامع الغافل العاصي ، فتراه ضيِّق الصدر حَرِجاً معذباً بذلك في الدنيا ، ولَمَا توعده الله به في الآخرة من العذاب الأليم والخزي العظيم أشدّ وأعظم ، قال سيدنا أبو بكر بن عبد لله العدني :

وأفقر الناس في الدنيا وضَرَّتِها ... قلب من الذوق من حب الإلـٰه خَلِيْ
وعكسه إن أغنى الناس قاطبة ... قلبٌ من الشوق من حب الإلـٰه مُلِي

وقال أيضاً في قصيدةٍ أُخرىٰ :

ألـــذ العيـــش كلـــهْ ... مَـــعَ أربـــاب البصـــائـــرْ
ولا الأســـــرار إلاَّ ... لمـــن صَفَّـــى الســـرائـــر

اللهم ؛ إنا نسألك بحق الصالحين أن ترزقنا ما رزقتهم ، وأن توفقنا لما وفقتهم ، وأن تمنحنا ما منحتهم ، وأن تهب لنا ما وهبتهم برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمدٍ وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

فَائِدَةٌ أُخْرَىٰ

اِعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ : أن مثال الدنيا مَثَلُ الدَّجال ؛ فإنه جاء في الحديث ما معناه : (أن الدجال يجيء ومعه جنةٌ ونارٌ ، فالذي يظنه الناس جنة . . فنارٌ تحرق ، والذي يظنه الناس ناراً . . فماءٌ عذبٌ ، كذلك الدنيا معها جنةٌ ونار ، فالذي يراه الناس جنة . . فهو عذاب في الدنيا ، وهو سبب العذاب في الآخرة ، والذي يراه الناس ناراً . . فهو نعيم في الدنيا ، وهو سبب النعيم في الآخرة .

ألا ترىٰ أن الناس يَرون كثرة الأولاد ، وبريق الذهب والفضة ، وفاخر الملابس ، وزينة المساكن والمراكب ، ولذيذ المآكل والمشارب والمناكح ، وزهرة البساتين والعقارات ، وكثرة الجاه والأتباع ، والرياسة والمظهر ، فيظنون أن ذلك غاية النعيم واللذة والسرور ، وهو إذا تأمله المتأمل . . وجده منبعَ كل أذىً وتعبٍ ونصبٍ ، وسببَ كل همٍّ وغمٍّ ، ورأسَ كل بلاءٍ وفتنة ، ووبالٍ ونكال في الدنيا عاجلاً فضلاً عن الآخرة ، فلا تجد حزناً ولا كدراً ولا ذنباً إلاَّ وهو إلىٰ أحد هـٰذه الخصال راجعٌ ، ومنه نابعٌ وله تابعٌ ، فصارت جنتها ناراً .

ويرى الناس قلَّة الشيء من الدنيا ، والقناعة بالقليل منها ، والزهد فيها ، وقلة الأولاد والاجتزاء بأدنى الملابس والمساكن ، وعدم الضِّياع والعقارات ، وقلة الجائي والرائح ، والخمول وقلة الظهور ، والاعتزال عن الناس فيظنونه عذاباً ، ويرون أن صاحب هـٰذه الأشياء مكروبٌ ، ولا يدرون أنه بلا شك أرْوَحُ قلباً وأشرح صدراً من الذي قبله بكثيرٍ .

هـٰذا عاجلاً في الدنيا وهو أرجىٰ وأقرب إلى السلامة في الآخرة من الذي قبله ، فصارت الدنيا من هـٰذا القبيل إن نارها جنة وإن كانت الدنيا لا راحة فيها ؛ لـٰكن إذا تأمَّلت حال الرجلين . . وجدت بينهما بوناً كبيراً .

اللهم ؛ اجعل لنا من لدنك ولياً ، واجعل لنا من لدنك نصيراً ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمدٍ وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

فَائِدَةٌ أُخْرَىٰ

اِعْلَمْ ـ وفقني الله وإياك للزهد والورع ، وجنَّبنا الحرص والطمع ـ : أن الأموال التي يأخذها الإنسان بالغصب ، والربا والغش والخداع ، ومن الصدقات والأوقاف علىٰ غير شرط الواقف والمتصدق ، وسائر الأموال المحرمة في الشرع . . مثالها لسائر أمواله المأخوذة بالحِلِّ مثال مَنْ يُدخِل علىٰ بطنه الصحيح شربة حادةً أو سُماً ، فكلَّما أدخل بطنه منه شيئاً يسيراً . . أخرج منه عشرة أضعافه وأكثر ، فيصبح ذلك الإنسان ويرىٰ كثرة ما خرج من بطنه ، ويرىٰ بدنه قد وهن وضعف بسبب الخارج فيغدو بهمَّةٍ ثانيةٍ قويةٍ في أخذ تلك الأموال المحرمة ، والمعاملات الفاسدة الباطلة القبيحة ، ويأخذ أضعاف ما أخذه بالأمس راجياً بذلك صلاح بطنه ، وقوام بدنه ، وجبر ضعفه .

وهـٰذا من الحُمْق الجلي والخسران الظاهر والخذلان الذي لا مزيد عليه ، ألم يدرِ ذلك الإنسان أنَّ ما وقع عليه من فوات ماله وقلَّة البركة في سعيه ، وشتات صنعته ، وكثرة الفتن والمحن ، والمطالبات والمكدرات . . سببها ترك الواجبات ، وارتكاب المخالفات ، وتعدِّي الحدود ، وعدم إخراج الحقوق ، وترك الصدق في معاملاته مع ربه ومع الخلق ؛ فإن الله سبحانه وتعالىٰ يقول : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ .

فينبغي للإنسان إذا أصابته مصيبة . . أن يرجع إلى الله ويتوب إليه ، ويتأمل الكوة التي دُخِل عليه منها فيسدّها ، ويتأمل عباداته ومعاملاته ، فيصلح ما فسد عليه منها ولا يتمادىٰ على الطغيان والعصيان ؛ فإن الأشياء لا تعالج إلاَّ

بضدِّها ، ولا تندفع المفاسد إلاَّ بحسمها وردّها .

اللهم ؛ أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمدٍ وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

فَائِدَةٌ أُخْرَىٰ

اِعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ : أنك إذا تأمَّلت حال نفسك ـ وكذا حال غيرك ـ.. وجدتَ أكثر ما يأتيك الهم والغم ، وكثرة الخواطر ، والشواغل والتعلُّقات ، والعوائق عن الخيرات ، بل وعن كل راحة دنيا وأخرىٰ قلباً وقالباً من أمور ترهات ، وأشياء مستهجنات ، ليس لها تعلق بالدين ، ولا بالذي عليه يعين ، بل ولا لها تعلُّق بنفسك ولا براحة خاطرك وبدنك ، وإنما هي أمور وأشياء تتعلق بمقالات الأسافل ، والنساء والأراذل ، ومَنْ لا خير فيه من غوغاء الناس وعوامهم ، فترى الإنسان من حين يصبح إلىٰ حين يمسي ، بل يقضي شهوره وسِنِيَّه وعمره كله في أسفارٍ وأخطارٍ ، ويدخل في شبهاتٍ ومحرماتٍ ، ويضيع لأنفاسه وساعاته ، ويخاطر بروحه ، ويفوت صفاء وقته في طلب مزايا وزوائد ليست من ضروريات القوام ، بل ولا من متمماته ، وإنما هي أشياء تتعلَّق بالغير ، ولا يجتني منها مدة حياته إلاَّ كل تعبٍ وكدرٍ وضيرٍ ، مع ما فوّتته عليه من التفرغ للدين والخير ، ومن الأنس بالله والذهاب إليه والسير .

ومن كلام سيدنا الحبيب أحمد بن عمر بن سميط : شجرة العوائد تُسقىٰ بماء التكلف ، وتثمر البعد عن الأوطان ، ومفارقة الأهل والإخوان ؛ مع هـٰذا تراه لائماً نفسه على ارتكاب هـٰذه الأشياء ، ومالاً لهـٰذه العادات ، ومبغضاً لهـٰذه المثقلات ؛ لما قد جرَّعته في الحال من المنغصات ، ولما لحقه بسببها من المقالات المشوّشات ؛ فإن رضا الناس غايةٌ لا تدرك :

ولا بدَّ من مثنٍ عليك وشامتٍ وإن كنت مَرضِيّاً قويم الطريقة

فإنك إن أرضيت واحداً.. سخط عليك عشرة ، وإن أرضيت عشرة.. سخط عليك مئة ، وإن أرضيت مئة.. سخط عليك ألف ، وهـٰكذا .

وإن تركتهم جميعاً وأرضيت ربك.. كفاك مؤونتهم ، واسترحت من معاناتهم ومعاناة تلك الأشياء الشاقة المتعسرة ، بل المتعذرة مع ما ترجوه من سلامة الآخرة من عدم الدخول في تلك الأمور التي لا يسلم الداخل فيها من المحظور ، فانظر بعين قلبك ؛ فإنها لا تعمى الأبصار ولـٰكن تعمى القلوب التي في الصدور :

لقـد أسمعـتَ لـو نـاديـتَ حيّـاً ولـٰكـن لا حيـاة لمـن تنـادي
ونـارٍ لـو نفخـتَ بهـا أضـاءتْ ولـٰكن ضاع نفخك في الرمادِ

اللهم ؛ اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولَّنا فيمن توليت ، وبارك لنا فيما أعطيت ، وقنا شرَّ ما قضيت ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمدٍ وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

فَائِدَةٌ أُخْرَىٰ

اِعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ : أنه إذا عُرف أحدٌ بالعلم والولاية والعبادة ، والصلاح والكرم والزهادة.. أحبه الناس ، واعتقدوه ، وتودَّدوا إليه ، وتردّدوا عليه ، ولجؤوا إليه في دفع ما يقع عليهم من الظلم من الأجناد وغيرهم ، فيبذل ذلك الرجل الصالح جاهه ، ويذب عنهم بلسانه بحسب نفوذ جاهه وقبول كلمته ، ويرىٰ ذلك فرضاً لازماً عليه نصرة للشرع ، وقياماً بحق الإسلام والأخوة ، والصحبة والمودّة ، وشكراً لِمَا خوَّله الله ، وأنعم به عليه من سعة الجاه وقبول الكلمة ، ولا يرىٰ له مِنَّةً إذا قُبلت كلمته ، ولا يأخذ علىٰ ذلك أجراً ، بل يبذل ماله في ذلك ، ويجتهد في دفع الظلم عن غيره أشدّ من الدفع عن نفسه ؛ فإن قبل كلامه.. فذاك ، وإلاَّ.. وكَل أمره إلى الله ولم يدافع بغير ذلك .

فهـٰذه سيرة الصالحين ، ثم إنه إذا مات ذلك الصالح.. قام في مقامه إنسان من أولاده أو من غيرهم ، ولم يسلك سبيل ذلك الرجل الصالح ولا طريقته ، ولا أخذ ما أخذ فيه من العلم والزهادة والعبادة ، وعدم الطمع في الناس والميل إليهم ، بل ظهرت منه الرغبة فيهم والطمع فيما في أيديهم ، فأخذ

الناس في الفرار منه ، والنفرة عنه ، فجعل يطالبهم بما كانوا يتودَّدون به إلىٰ صاحب ذلك المقام الأوَّل ، وبالتردد عليه ؛ كما كانوا يتردَّدون هم وآباؤهم علىٰ ذلك الولي ، ويرىٰ في نفسه أن ذلك حق لازمٌ عليهم ، وأنهم مقصرون في حقِّه . هـٰذه والله مصيبة ؛ وبلية عظيمةٌ تدل علىٰ قلة دينِ مدَّعيها وعقله ، أيكون جزاء إحسانهم ، أو إحسان آبائهم إلىٰ أبيه أو جده ، وترددهم وتوددهم إليه لصلاحه وولايته سببَ استعبادهم واسترقاقهم وإذلالهم أبداً ما تناسلوا ؟!

فلعمري ؛ لا تصدر هـٰذه الأخلاق إلا من إنسانٍ دنت همته ، وقلَّت مروءته ، ومال طبعه إلىٰ غوغاء الناس وسَفِلتهم وأنذالهم ، ولم تنظر نفسه إلىٰ مكارم أخلاقِ مَنْ جلس في مجلسه ، ولم تجنح همته إلىٰ خلاله السنية ، وصفاته العليَّة ؛ التي أقلها الزهد في الدنيا ووجاهاتها ، والتواضع وعدم النظر إلى الناس جاؤوا أم ذهبوا ، والإنصاف من النفس وعدم الانتصاف لها ، وغيرها من الخصال الحميدة ، والأفعال السديدة .

سـارتْ مشـرِّقـةً وسـرتُ مُغـرِّبـاً شتَّـانَ بيـن مُشـرِّقٍ ومغـرِّبِ

فينبغي لمن أُقيم في مقام أحدٍ من الصالحين أن يجتهد في سلوك طريقته ، والتشبُّه به في ظاهره وطويته ، ثم يعترف بالخلوِّ عن أذواقه وحقيقته ، ولا يدَّعي شيئاً من أحواله ومواجيده ، ولا يطالب أحداً بأن يحترمه أو يعظمه ، فضلاً عن أن يتردَّد عليه أو يتودَّد إليه .

ومن أكرمه أو أحسن إليه . . كافأه بالعطاء أو بالدُّعاء والثناء ، ومن لم يأته . . رأىٰ ذلك من النِّعم التي يجب عليه شكرها ، ورأىٰ له مِنَّةً وفضلاً من أن يراه جفاءً ، أو يتكدَّر عليه خاطره .

ومَنْ عاداه أو آذاه ، أو آذىٰ من يلوذ به . . وَكَلَ أمره إلى الله ؛ كما كان مَن كان قبله ، ولا يأخذ في مدافعته بالمقاتلة والمعاندة لأن هـٰذا يخرجه عن سبيل مَنْ هو مدعٍ مقامه ، فتكون أفعاله أوَّل شاهدٍ عليه بالتكذيب ؛ لأن المعاندة والمقابلة بمثل فعل الظالم شأن الأجناد والظَّلَمة ، فيدعوه ذلك إلى التشبُّه

بهم ، بل إلىٰ أن يكون منهم كما هو مشاهَدٌ ومجرَّبٌ .

فتكلَّمنا بهـٰذه الكلمات قضاءً لبعض حقوق من مضىٰ من الصالحين ، ورجاء أن يقف عليها أحدٌ ممَّن يحب الناصحين ، فينتفع بها ، فأكون على الخير من الدَّالين .

اللهم ؛ وفِّقنا لكل خيرٍ ، واحفظنا من كل شرٍّ وضير يا أرحم الراحمين ، وصلَّى الله علىٰ سيدنا محمدٍ وآله وصحبه وسلَّم ، والحمد لله رب العالمين .

فَائِدَةٌ أُخْرَىٰ

اِعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ : أن سبب ما حدث من هـٰذه الفِتن والمحن والأخواف وغيرها من المكدِّرات . . عدمُ الاستقامة علىٰ ما أمر الله به ؛ من امتثال أوامره ، واجتناب نواهيه ، وكثرة الغفلة عن الله وعمَّا خَلَقَنا له ، وسببُ زيادتِها وتكاثرِها ودوامِها عدمُ الانتباه بهـٰذه المذكرات ، وعدم الرجوع إلى الله والتوبة والندم علىٰ ما صدر منَّا ، فحالنا مع هـٰذه المذكرات مثال رجلٍ يسوق دابةً ليسلك بها جادة الطريق ، فجمحت عنها ، فزجرها لترجع فلم ترجع ، فضربها ، فكلَّما ضربها لترجع . . زادت نفاراً ، فلم يتركها من الضرب ولم تترك ما هي عليه من التأبي والنفار ، وكلَّما زاد في قودها وردِّها إلى الطريق . . زادت في النفار وعدم الانقياد ، فهي في عذابٍ دائمٍ من المشي في الحفا والكلال اللازم لمن يمشي في غير الطريق ، وفي تعذيبٍ بالضرب والوخز والزجر ، وهي مع ذلك مذمومةٌ ومعيوبةٌ عند مالكها وغيره ، وهي أيضاً غير مرحومةٍ ممَّا لاقته من هـٰذه المشاق ؛ لأنها هي الملقية بنفسها في ذلك .

مثال آخر لما نحن فيه من هـٰذه البلايا : وذلك كرجلٍ ثارت عليه أمراض وأوجاع في بطنه ، وتنكَّرت عليه طباعه بسبب أشياء مضرة يأخذها ، فجعل يشكو وجعه لكل مَنْ رآه ، فقال له الأطباء : إن هـٰذه الأوجاع لا تزول عنك ما لم تترك هـٰذه الأشياء المضرة التي تأخذها ، وتحتمي عنها بالكلية حتىٰ يطهر بطنك عنها ، ثم تأخذ أشياء أخر مضادة لهـٰذه الأشياء ؛ فإنك تصح وتبرأ ،

ولا تطمع في الشفاء وأنت باقٍ علىٰ حالتك هـٰذه ، فاستبعد مقالتهم ، وشقَّ عليه مفارقة ما هو فيه ، وغلبت عليه شهوته فلم يفعل شيئاً ممَّا وصف له ، بل بقي يُدخل بطنه من الذي وجد منه الألم ويزيد عليه أمثاله ، ويجتنب ما ينفعه ، والمرض يزيد كل يومٍ عليه ، وهو يُكثر من الأنين والتأوّه والشكوىٰ ، ويذم بطنه ويقبحه .

مثال آخر لذلك : وذلك كرجلٍ رأىٰ أناساً قبله زرعوا أرضاً ببذور طيبة ؛ مثل النخل والعنب والبُر وغيرها من الأشجار النافعة ، فأتت لهم بكل ثمرةٍ طيبةٍ ، فجعل يغرس في تلك الأرض بذوراً خبيثةً مضرةً ، وظن بحمقه أن يجني منها ما جناه السابقون ، فأتت بما لا يخفىٰ من ثمارها كما هي سنة الله سبحانه ، فجعل يتعجَّب من ذلك ويلومها ؛ إذ لم تأتِ بأثمار طيبة ، فقيل له : إن هـٰذه البذور لا تثمر إلاَّ ما رأيت ، فإن أردتَ ثمراً مثل ثمر السابقين . . فابذر مثل بذورهم ، وإلاَّ . . فلا تطمع أن تجني إلاَّ ثمر ما غرست ، فلم يسمع لأحدٍ ، وجعل كلَّما حصد شراً . . بذر أشرَّ منه ، وبقي يذم الأرض ويتوجع ممَّا يلاقيه ويعانيه ، وهـٰذا من الحمق الجلي الذي لا مزيد عليه .

ولا أرىٰ لما وقع وجرىٰ من هـٰذه الأمور المهلكة للدِّين والحال والمال دواءً نافعاً إلاَّ بأن يولِّي الله على الجهة والياً عادلاً قاهراً يحملهم على امتثال أوامر الله ، واجتناب نواهيه ، وخصوصاً فيما يتعلَّق بالحلال والحرام ، والمظالم والتبعات يبحث عن ذلك أشدَّ البحث ؛ فإن الحرام بهـٰذه الجهة عمَّ وكثر ، وكاد أن يكون الحلال بها نادراً ؛ لكثرة الظَّلَمة ، وعدم الرادع ، وغلبة الجهل ، وقلة الحياء والورع ، وظهور التجري الذي لا مزيد عليه ؛ فإنه صار لا يمنعهم من الحرام إلاَّ عدم القدرة عليه والتمكن منه ، ومن قدر على شيءٍ منه . . أخذه ولا يفرق بين الحلال والحرام ، ولا ما يصحُّ وما لا يصح ، ولا يبالي من أي جهةٍ أخذ المال ، ومَن هـٰذا وصفه : « لم يبالِ الله به في أيِّ وادٍ أهلكه » .

ولا يخفىٰ ما يترتب علىٰ أكل الحرام من الشرور والمفاسد ، وأنه

لا يقبل الله له طاعة ولا يسمع له دعاء ، وأن النار أولىٰ به ، فلو صليتم حتىٰ تكونوا كالحنايا ، وصمتم حتىٰ تكونوا كالأوتار من غير ورعٍ حاجزٍ . . لم يتقبَّلِ الله ذلك منكم .

فعُلم من هـٰذا أن أكل الحلال أساسٌ للطاعة ، ولا تصح بدونه ، وأن العبادة مع أكل الحرام هباءٌ منثورٌ ، لا تفيد صاحبها إلاَّ مجرد الغرور ، ولا يجني من أكله إلاَّ أنواع الشرور .

اللهم ؛ هَبْ لنا من رزقك الحلال الطيب المبارك ما تصون به وجوهنا عن التعرض إلىٰ خلقك ، واجعل لنا إليه طريقاً سهلاً من غير تعبٍ ولا نصبٍ ، ولا مِنَّةٍ ولا تبعةٍ لأحد ، وجنِّبنا الحرام حيث كان وعند من كان ، وحل بيننا وبين أهله ، واقبض عنَّا أيديهم ، واصرف عنَّا وجوههم حتىٰ لا نتقلَّب إلاَّ فيما يرضيك ، ولا نستعين بنعمتك إلاَّ فيما تحب وترضاه يا أرحم الراحمين ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمدٍ وعلىٰ آله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

فَائِدَةٌ أُخْرَىٰ

اعْلَمْ ـ وفقني الله وإياك لذكره ، وحمده وشكره ـ : أن أفضل العبادات وأقرب الطرقات وأكمل السعادات المداومةُ علىٰ ذكر الله وملازمته في جميع الحالات ، أعني مع الحضور والإخلاص ، والأدب والتعظيم له سبحانه وتعالىٰ ، فمن لازم ذلك . . فلا بد أن يفتح الله عليه في أقرب زمن .

هـٰذا إذا رتَّب الأعمال ؛ بأن كان قد أتىٰ بما عليه من أداء الواجبات وتجنُّب المحرمات ، وإلاَّ . . فقد ورد في الحديث القدسي ما معناه : « قل للظالمين لا يذكروني ؛ فإني أذكرهم باللعنة ؛ لأني آليت علىٰ نفسي أن أذكر من ذكرني » .

ولا يخفىٰ ما ذكره الفقهاء من أنه من ترك فرضاً عمداً . . لا يجوز له التنفل وغيره من كل ما يشغل عن أدائه حتىٰ يؤديه ، بل قد ذكر سيدنا الغزالي

رضي الله عنه ، ونفعنا به ما معناه : أن كل من توجَّه عليه أداءُ فرضٍ فوراً ؛ مثل رد غصب أو وديعةٍ أو دَينٍ وتشاغل عنه بأداء فرض الصلاة الذي هو أقرب القربات . . حرم عليه ذلك ، بل صرَّح بمثل ذلك الفقهاء ؛ فقالوا : يجب أداء ما فات بغير عذرٍ فوراً ، ولا يجوز تقديم الحاضرة عليه وإن فاتت الجماعة ما لم يخش فوت وقت الحاضرة .

وقد ذكر سيدنا الغزالي في موضع آخر من « الإحياء » : من تشاغل بعد الأذان الثاني يوم الجمعة ببيعٍ عن السعي لها ، واستبعد مقالة القائلين ببطلان العقد ، وقال : إن هـٰذا يستدعي فساد بيع كل من عليه زكاة درهم ، أو صلاة فائتة وجوبها على الفور ، أو في ذمته مظلمة دانق ؛ فإن الاشتغال بالبيع مانعٌ عن القيام بالواجبات ، وليس للجمعة إلاَّ الوجوب بعد النداء ، وينجرُّ ذلك إلىٰ أنه لا يصح نكاح الظلمة ، وكل من في ذمته درهم ؛ لأنه اشتغل بقبوله عن الفعل الواجب عليه وضعف القول بالبطلان ، لـٰكن لا يخفىٰ من هـٰذا الكلام أن ترتيب الأعمال مهمٌّ جدّاً ، وهب أنه غير باطلٍ ، أليس الفعل بحرامٍ ؟! فيكفي الإنسانَ خسراناً أنه يعمل أعمالاً يظنها حسنات وهي سيئات ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ الآية .

فإذا كان الأمر كذلك ؛ فإن كان الإنسان قد أقام الواجبات وتجنَّب المحرمات . . فليلزم ما شاء من الأذكار بعد الإتيان بما تيسَّر من الوارد ، وإن كان مخلِّطاً ومقصراً ـ كما هو الأكثر والغالب ـ . . فينبغي أن يكون همه تلافي ما فرط من أمره ، ويكون ذِكرُه الاستغفارَ وكثرةَ التضرع والدعاء والابتهال بالانكسار والافتقار والاضطرار إلى الله سبحانه وتعالىٰ أن يغفر له ، ويتوب عليه ، ويوفقه لإقامة أوامره ، واجتناب مناهيه على الوجه الأتم الأكمل المَرضي المقبول عنده سبحانه وتعالىٰ .

ولا يرىٰ دعاءه أهلاً للقبول ؛ لما عنده من فقد الشروط الموجبة للاستجابة التي منها أكْلُ الحلال ، وحضور القلب وغيرهما ، ولـٰكن يرجو ذلك من محض فضل الله وكرمه ، ويخاف الرد وإن كان القبول له وللكامل من محض

الفضل ، لـٰكن ينبغي أن يكون خوف العاصي أكثر من رجائه ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

فَائِدَةٌ أُخْرَىٰ

اِعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ : أنه لا ينبغي للإنسان أن ينكر كرامات الصالحين ، ولا مواجيدهم وأحوالهم وأذواقهم وإن خرجت عن مقتضىٰ عقله ، وبعدت عن دَرَكِ فهمه ولا يستبعد ذلك ولا يستحيله ؛ لكونه خلا عنه وفقده في نفسه ، فإن الله سبحانه وتعالىٰ يختص برحمته من يشاء ، ويؤتي الحكمة من يشاء ، ويؤتي الملك من يشاء ، وينزل الروح من أمره علىٰ من يشاء ، ولا حَجْر عليه سبحانه وهو علىٰ كل شيءٍ قدير ، وكما أنه سبحانه يَهَبُ لأوليائه في الآخرة ما لا عينٌ رأت ، ولا أُذنٌ سمعت ، ولا خطر علىٰ قلب بشر ، وقال سبحانه : ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ . . فكذلك فَضْلُه عليهم في الدنيا لا يدخل تحت الحصر ، فالإيمان بذلك ولاية صغرىٰ ، وما مَثَلُ المكذِّب لهم معهم إلاَّ كمَثَل رجلينِ قال أحدهما للآخر : إني سافرتُ ووصلتُ إلىٰ مكة المشرفة ، فدخلت المسجد الحرام ، ورأيت الكعبة ، ورأيت من الطائفين والعاكفين حولها والمصلين والتالين لكتاب الله والذاكرين الله ما يبهر العقول من تعظيم شعائر الله ومشاعره ؛ لأن المسجد لا يخلو منهم لا ليلاً ولا نهاراً ، دائماً أبداً لا يَفْتُرون عن ذلك قط ؛ وذلك من غير قهرٍ لهم من إنسان ، ولا ترتيب ولا تدبير ، إنما هو تقدير العزيز العليم .

فقال له الآخر : كذبتَ ، فقيل له : ما لك كذبت صاحبك ولم تصدقه فيما أخبرك به مما رآه وعاينه ؟ فقال : لأني دخلت قرىٰ هـٰذه البوادي وجالست أهلها ، ولم أرَ بها شيئاً مما ذكره ، بل رأيت بها أشياء قبيحة من الغفلة وغيرها ، فقيل له : لا ينبغي لك أن تكذب صاحبك ؛ لأنه إنما يخبرك بما رأىٰ لا بما رأيت ، فكن أحد رجلين :

إما سالكاً مثل ما سلك لترىٰ ما رأىٰ ، وإما مصدِّقاً له ومعترفاً بالقصور ،

ولا تكن الثالث فتهلك ، ولا تجمع فوق ما أنت فيه من الغفلة ومجالسة أهلها ومخالطتهم عدمَ التصديق لأهل الحضور ، وعدم الاعتراف لهم بالفضل ولنفسك بالنقص والقصور ، فتجمع علىٰ نفسك خسارتين وتسوق إليها الشر من الجانبين ، فتجمع بين زورٍ وغرورٍ ، وإنكارٍ وفجورٍ ، فلا أقل من الاعتراف عند الاقتراف ، ومن الإنصاف عند عدم الاتصاف ، ومن الانكسار والاستغفار عند وجود الزلل والأوزار ، بل ينبغي أن يكون هـٰذا حالُك في حال الكمال ، فكيف وأنت عين النقص علىٰ كل حال ؟!

اللهم ؛ ارزقنا حُبَّك وحبَّ مَن يحبك ، وحبَّ كلِّ عملٍ يقربنا إلىٰ حبك ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمدٍ وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

فَائِدَةٌ أُخْرَىٰ

اِعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ : أن من مكايد الشيطان العظيمة لأبناء الأخيار أن يزين لهم التزيي بزي الجند والأشرار ؛ من لبس السلاح ، وتقصير الثياب ، وتبقية الشعر .

ومن تشبه بقومٍ . . فهو منهم ، وشِبْهُ الشيء منجذبٌ إليه ، قال سيدنا الإمام محمد بن محمد الغزالي رحمه الله ونفعنا به في آخر كتاب الحلال والحرام من « الإحياء » عند ذكره الظَّلَمَة والتحذير من مجالستهم : (فمن عُرف بذلك . . فقد عُرف ، ومن لم يعرَف . . فعلامته القَباءُ وطول الشارب وسائر الهيئات المشهورة ، فمن رُئي علىٰ تلك الهيئة . . يجب اجتنابه ، ولا يكون ذلك من سوء الظن ؛ لأنه الذي جنىٰ علىٰ نفسه إذ تزيَّا بزيهم ، ومساواة الزي تدل علىٰ مساواة القلب ، فلا يتجانن إلا مجنون ، ولا يتشبَّه بالفُسَّاق إلا فاسق .

نعم ؛ الفاسق قد يلبِّس فيتشبه بأهل الصلاح ؛ وأما الصالح . . فليس له أن يتشبَّه بأهل الفساد ؛ لأن ذلك تكثير لسوادهم) انتهى

ولعمري ؛ ما ترىٰ أحداً تزيَّا بذلك الزي إلاَّ وهو قد استحسن سيرة الجند ، وزينها الشيطان في عينه ، ومال طبعه إلىٰ مجانستهم ومجالستهم ، فقلَّما ترىٰ

أحداً فعل ذلك إلاَّ ونفر طبعه عن طلب العلم ومجالسة أهله ومذاكرتهم ، ولا يميل طبعه إلى العبادة وسيرة السلف الصالحين ، بل تراه متباعداً عن أهل الفضل ، ونافراً منهم .

وإن اتفق له مجالستهم من غير اختيارٍ . . استثقل ذلك المجلس ، وضاق صدره به وهم كذلك ؛ وذلك لأنه لم تكن بينه وبينهم مجانسة ولا مؤالفة ولا موافقة ، بخلاف ما إذا جلس مع الجند وأهل السلاح والشر والغفلة . . فتراه بينهم منبسطاً منشرحاً بذلك ، فهـٰذه واللهِ بليةٌ عظيمةٌ ، ومصيبةٌ وخيمة تدعو إلىٰ كثيرٍ من الشرِّ والفساد التي لا يحصرها تعداد ، بل قد تجر إلى القتل بغير حق ، وترويع العباد والتأبي عن قبول الحق ، وعدم الانقياد ، وقد ابتلي بهـٰذه الخصلة بعض إخواننا العلويين وغيرِهم من أبناء الصالحين ، فتراهم مثل الجند في زيهم ولباسهم حتىٰ إنهم يلبسون الفضة والحرير ، ويظهرون بعض عورتهم من كَثرة كَفْتِهم الإزار ؛ حرصاً منهم على التشبه الكلي بالجند والأشرار ، وتركاً وفراراً من سيرة سلفهم الصالحين الأخيار .

ثم إنهم لا يزالون يربون أطفالهم من حين صغرهم علىٰ ذلك ، فيكون عليهم وزرهم ووزر أولادهم ؛ لعدم إرشادهم إلىٰ سبيل الصلاح والرشاد ، وعدم منعهم وردعهم عن التشبه بأهل الفساد ، وقد ورد في الحديث أن : « كل مولودٍ يولد على الفطرة ، وإنما أبواه يهودانه ، أو يمجسانه » . فإنا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله ، فلا أقل إذا عُدِمت الحقيقة من سيرة السلف الصالحين ، وأخلاقهم الباطنة والظاهرة ، من إبقاء الصورة الظاهرة والرسم مع الاعتراف بالتقصير وعدم الدعوىٰ ، ويبقى الحال كما قال القائل :

أمَّا الخيام فإنها كخيامهم وأرىٰ نساءَ الحي غيرَ نسائها

وكيف لنا بذلك بل صار الأمر ؛ كما قال الآخر :

حتى الخيام فليس هيْ كخيامهم أمـا نسـاء الحـي غيـر نسـائهـا

فنرجو مولانا الكريم أن ينبهنا على العيوب ، ويصلح منَّا القوالب والقلوب ، ويغفر لنا الأوزار والذنوب ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمدٍ وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

فَائِدَةٌ أُخْرَىٰ

اِعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ : أن أهل هـٰذا الزمان لا يرون الفتنة والمصيبة إلاَّ كل ما يشوِّش عليهم دنياهم العاجلة أو يقطع عليهم أسبابها أو يضعفها ، وكل ما يكثف خواطرهم وأنسهم وراحتهم لا غير ؛ مثل الحروب والقتل ، والنهب والأسر والتخويف ، ومثل الأمراض والأوجاع ، والجدب والغلاء ، والقحط والفقر ونحوها ، وهـٰذه واللهِ فتنٌ ومصائب ولـٰكن إنما هي كذلك ؛ لِمَا تَعدَّىٰ منها إلى الدِّين من كون فاعل القتل ونحوه عاصياً ، وكونها شائعة بين الناس ولم تغير ، وكون المظلوم لا يُنصر ، وكونها شاغلة عن الدِّين ، ومشوشة للقلوب عن أن تحضر في صلاةٍ أو نحوها من أمور الدِّين ، فصارت بهـٰذا الاعتبار فتناً وأي فتن ، وإلاَّ فالمفعول به ذلك والمصاب به إذا لم يأته . . مثابٌ عليه ومأجورٌ به ، وخصوصاً إذا رضي بذلك وسلَّم وصبر ، بل هي في حقِّه نعمة ورحمة لذلك ، ولكونها مزهدة له في الدنيا ومنغصة لها ومذكِّرة له ذنوبه وأهوال الآخرة وسائقة للإنسان إلى الالتجاء إلى الله والاضطرار والانكسار والافتقار . . فإن الإنسان في حال مواتاة الأسباب في كل أشيائه يغلب عليه الأشر والبطر كما هو الغالب إلاَّ الموفقين وقليل ما هم ، قال الله تعالىٰ : ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۞ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ .

ثم إني أرى الفتنة أعم من ذلك ، قال الله تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ ، ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً ﴾ ، ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ .

وفي الخبر ما معناه : « إني لأرى الفتن في خلالكم كمواقع القطر » .

وقال بعض الصحابة رضي الله عنهم لمَّا سها في صلاته وهو في بستانه ؛ لشغله به : (فذكرت ما وقعتُ فيه من الفتنة) .

وكذا قول الصحابي الآخر : (ابتُلينا بفتنة الضراء فصبرنا ، وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر) .

فعُلم بهـٰذا : أن كل ما يلاقيه الإنسان في جميع أحواله من خيرٍ أو شرٍّ . . فهو عليه فتنةٌ وابتلاءٌ ومحنةٌ ؛ فإن قام بحق الله فيه . . فقد سلم من الفتنة وكان من الشاكرين المأجورين ، وإن لم يقم بحقِّ الله فيه . . فقد وقع في الفتنة وكان من الغافلين المذمومين أو الآثمين الخاسرين .

اللهم ؛ إنا نعوذ بك من مضلاَّت الفتن ، ما ظهر منها وما بطن ، وتوفَّنا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمدٍ وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

فَائِدَةٌ أُخْرَىٰ

اِعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ : أن سبب ما أوقع الناس في الجهل وفي إجراء العقود علىٰ غير شروطها المعتبرة في الشرع وأوقعهم في إهمال تعلُّم أحكام الله والتهاون في التفقه في دين الله . . هو ردُّ جملةٍ من الأحكام إذا تنازعوا فيها إلىٰ غير ما قال الله ورسوله .

فلمَّا رأى الناس العلوم والأحكام معطلةً غير معمولٍ بها ، ولا يُحكَم بمقتضاها ، ورأوها فضلة لا فائدة لها ، وأن مَنْ تعلَّمها لم يحصِّل غير التعب والنصب في تعلُّمها وتفهمها فقط ولا يرجع إليه في شيءٍ قط . . زهدوا فيها وتهاونوا بها ، وأهملوها وتعاملوا كيف شاؤوا ، ولا يفرقون بين الصحيح وغيره ، ويرون من أراد تقويمهم على المحجة البيضاء والحنيفية السمحاء التي لا حرج فيها ولا إصر ولا ضيق . . طَلَبَ مُحالاً ورام متعذَّراً وأراد فساداً ، ورموه بالجنون وقلة العقل ، وهـٰذه والله مصيبةٌ في الدِّين ، ومكيدةٌ عظيمةٌ من مكايد الشيطان ، تُوُصِّل بها إلىٰ إبطال الشريعة المطهرة وتعطيلها وإهمالها ،

فتراهم يحكمون بالعادة والباطل عمداً وظلماً وعدواناً ، وهم يعلمون أنه خلاف حكم الله ورسوله ، ويُلزمون الإنسان أشياء غير لازمة عليه في الشرع ، ويجبرونه ويقهرونه علىٰ ذلك ، ويُبرِّئُون إنساناً من أشياء هي لازمة عليه شرعاً ، وواجبٌ عليه أداؤها ومأثومٌ بتركها ؛ وهـٰذا قدحٌ في الدِّين عظيم ، واختراع دين مناقض لدين الإسلام ، ومباين له في الأحكام ، فترىٰ أحدهم يُدعَىٰ إلىٰ حكم الله ورسوله فيقول : لا أُعطي إلاَّ العادة ، أو يقال له : أعطيك ما قال الله ورسوله ، فيقول : لا أريد إلاَّ العادة ، وبعضهم يسمي هـٰذه الأحكام الباطلة الحقَ ، وهـٰذه كلمةٌ شنيعةٌ تدل علىٰ تزلزل عقيدة قائلها .

ولننقل هـٰهنا كلاماً وجدتهُ مكتوباً بخط سيدي العلامة الجد طاهر بن محمد بن هاشم رحمه الله تعالىٰ ، يتعلَّق بما ذكرته ، ولننقله برمته تتميماً للفائدة ، وتنفيراً عن هـٰذه الخصلة الفاحشة الفاسدة ؛ وهو هـٰذا : (الحمد لله ، هـٰذا ما وجدتُه في تأليفٍ للشيخ عبد الله باشعيب المعروف بابن قدري ، سببه منازعةٌ جرتْ بينه وبين الفقيه عبد الله بن أبي بكر الخطيب في بعض الأحكام ، فمنه وقفتُ علىٰ كلامٍ شافٍ لبعض مشايخي ذوي الغَيرة والإنصاف ، قال فيه : ولو اتبعنا العادات . . لأبطلنا قوانين الدعاوي والشهادات ، ورجعنا إلى العُرّاف ، ووقعنا في الانحراف ، وحلنا عن الاتصاف بأحكام الشريعة ، وحوينا كل رذيلة ، وحقَّ علينا قوله تعالىٰ : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ ، والطاغوت إنما كان عُرفاً وعادة أشبه شيءٍ بأحكام البادية ، بل هي عينها ، وهي عامة بجهتنا غير ممتزجة بشرعنا . . . إلىٰ أن قال رحمه الله تعالىٰ : ولقد أجاد شيخ مشايخنا شيخ الإسلام ابن حجر رحمه الله تعالىٰ في قوله : وددت أنَّ لي مالاً ورجالاً وجاهدت القائلين بالعادة ؛ لقولهم بحكم الطاغوت المعبَّر عنه بالعوائد ، وما احتوت عليه من المفاسد . انتهىٰ ما نقلته من كلام شيخنا من خطه .

ثم ظفرت أيضاً بسؤالٍ عليه أجوبة كثيرة من أئمتنا من أهل اليمن رضي الله عنهم ؛ ولفظه :

أصلح الله السادة العلماء أئمة المسلمين ، ونفع بهم وقمع بهم أحكام الملحدين ؛ عمَّا اعتمده أهل الجبال واعتقدوه ، وأشاعوه وأظهروه من حكم الجاهلية الذي يسمونه بحكم المنع ، وعَدَلوا إليه عن حكم الشرع ، فصاروا يقضون به ويفتون ، ويُقدِّمونه علىٰ أحكام الشريعة المطهرة ، فهل يفسقون بذلك ، وتسقط عدالتهم أو يكفرون ـ والعياذ بالله ـ وهل يجب على المسلم إنكاره وإبطاله وإعدامه ؛ لكونه من المنكرات العِظام ، المنابذة لأحكام الإسلام ؛ ولكونهم يبطلون به الحق ويقيمون به الباطل ، ويعقدون لذلك محاضر ومحافل ، ولا يصدهم عن ذلك جواب مجيب ، ولا سؤال سائل ، أم لا ؟ أفتونا فتوىٰ شافية ، لا زلتم للأنام ذخراً ، وللإسلام ركناً ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

اللهم ؛ إنا نسألك العافية الشافية ، من هـٰذه الواقعة العظيمة ، والمظلمة الجسيمة ، ثم نقول :

الجواب ـ والله الموفق للصواب ـ : إن هـٰذا الحكم الجاهلي الذي يسميه أهل الجهل والطغيان بحكم المنع ؛ وهو كاسمه مانعٌ للحق المبين ، ومنافٍ لشريعة سيد المرسلين ، ومن حكم به وأَلزمَ واعتقده حقاً أو اعتقده غيره بسببه . . فهو كافرٌ خارجٌ عن الدِّين ، متورِّط في جهنم مع الظالمين المضلِّين ، ويجب قتله إن لم يرجع عن هـٰذا ويُسْلم ويتوب ، وإن لم يعتقده . . فهو فاسقٌ لا ولاية له ولا عدالة ، ولا يحل لأحدٍ من المسلمين السكوت علىٰ ذلك ، بل يجب الإنكار علىٰ من تعاطىٰ ذلك أو تكلَّم به ، ولا يحل التحاكم إليه ؛ لقوله تعالىٰ لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من أحدث في أمرنا هـٰذا ما ليس فيه . . فهو رَدٌّ » .

فنفى الله سبحانه وتعالىٰ عمَّن لم يحكم بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم الإيمان ، فكيف بمن ينابذه والله سبحانه وتعالىٰ أعلم بمصالح العباد .

وأهل الجهل إنما شرعوا ذلك الحكم الشيطاني منابذة لحكم شريعة الإسلام ؛ ليستعينوا به على الضلالة ويزعمون أنهم يريدون به صلاح العباد كما أخرج الشيطان أهل الشرك بعبادة الأوثان بحيلة صور أنبيائهم وكان بعد ذلك أن عبدوا تلك الصور ، فما عدا شريعة الإسلام . . فهو كفرٌ وضلالٌ ، نسأل الله العافية والسلامة والله سبحانه وتعالىٰ أعلم . قاله الفقيه يوسف بن يونس المقري .

وبمثله قال الفقيه عمر بن محمد الفتى ، والقاضي محمد بن الطيب بن أحمد الناشري ، والقاضي عبد الله بن محمد الناشري ، والفقيه محمد بن الحسين القماط .

وأجاب قبلهم بنحو جوابهم الفقيه الإمام أحمد بن موسى بن عجيل نفع الله به ، وقال : إنه من بقية أحكام الجاهلية ، فلا يجوز الدخول فيه ولا حضوره ولا سماعه ، ويجب علىٰ من قدر علىٰ إزالتِهِ إزالتُهُ ، ومعتَقِد جوازه لا شك في كفره، والعياذ بالله تعالىٰ ، وغير معتَقِدِه لـٰكنْ يعمل به يفسق نسأل الله العافية. انتهىٰ .

وفي هـٰذا الجواب كفاية لمن أراد الله به الاهتداء ، وأما من أراد الله غوايته . . فلن تجد له ولياً مرشداً ، ومع هـٰذا لم أزدَدْ إلاَّ يقيناً في هـٰذا الحكم بموجب فتوىٰ هـٰؤلاء الأئمة الأعلام ؛ لاستناد يقيني إلىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ الآية ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتىٰ يكون هواه تبعاً لما جئت به » .

تغيرتِ الدنيا وأصبح أهلها ... يرون فعال الخير نكراً مزَيَّفا
وأصبح أَولى الناس بالفضل مَنْ لَهُ ... مقالٌ بلا صدقٍ ، وعهدٌ بلا وفا
ولم يبقَ إلاَّ الإسمُ من كل طيِّبٍ ... وذكر من المعروف يمشي على القفا)

انتهىٰ ما أردتُ نقله من خط سيدي الجد طاهر بن محمد بن هاشم معزواً لكتاب الشيخ عبد الله باشعيب رحمهما الله ، ولقد طال بهـٰذا النقل الكلامُ ؛ ولـٰكنا نرجو بنقل هـٰذا الكلام أن يكون به نفع للخاص والعام ، وأن يمحو الله الباطل ويظهر الإسلام ، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمدٍ وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

فَائِدَةٌ أُخْرَىٰ

اِعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ : أن أنفع شيءٍ لصلاح القلوب ، وأقرب شيءٍ لغفران الذنوب ، وأذهب شيء للكروب ، وأجدىٰ شيء لجلب كل محبوب . . مجالسة أولياء الله الصالحين ، والعلماء العاملين الخاشعين ، والعُبَّاد الزاهدين الذائقين الذين إذا رُؤوا . . ذكر الله ، ينهضك إلى الله حالهم ، ويدلُّك على الله مقالهم ، وتغشىٰ مجالسَهم أنوارُهم ، وتبعثه علىٰ مكارم الأخلاق أخلاقهم ، وتحقِّر إليه نفسَه أعمالُهم ، وتعود عليه في الحال والمآل بركاتهم ؛ فمجالستهم زيادة ، والنظر إليهم عبادة ، ومحبتهم سعادة ، مُجالسُهم في أنوار السُّرور راتع ، ومن شراب رحيق المحبة كارع .

متىٰ أراهـمْ وأنَّىٰ لـي بـرؤيتهـم ... أو تسمع الأذن منِّي عنهم خَبَراً

فمن رزقه الله مجالستهم ورؤيتهم . . فليعُدَّ ذلك من أكبر نِعَمِ الله عليه ، وليغتنمهم وليجالسهم مع المحبة والتعظيم والإكرام ، وحسن الظن وكمال الأدب ظاهراً وباطناً ، مع طلب الانتفاع والتبرك بهم ، والاقتداء والاهتداء بهديهم ؛ فالمرء مع من أحب ، والمرء من جليسه ، والمرء علىٰ دين خليله .

هداة الورىٰ طوبىٰ لعبدٍ رآهمُ ... وجالَسَهُم لو مرةً منه في العمر
أولـٰئـك الأقـوام هـم مـرادي ... ومطلبـي مـن جملـة العبـادِ
وحبهـم قـد حـلَّ فـي فـؤادي ... أهـل المعـارف والصفـا والآدابْ

وانظر إلىٰ كلب أهل الكهف لمَّا صاحب أولياء الرحمـٰن . . ذُكر معهم في القرآن ، وسيدخل معهم غداً الجنان ، وكذا جلد المصحف لمَّا جاور المصحف . . لم يَجُزْ مسُّه إلاَّ مع الطهارة ، تعرف بذلك فضيلة المصاحبة والمجالسة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثل الجليس الصالح كمثل صاحب المسك ؛ إما أن يحذيك ، أو تبتاع منه ، أو تجد منه رائحة طيبة . . . » الحديث أو ما في معناه .

وقال الشيخ فضل رحمه الله : (من صلىٰ وراء مغفورٍ . . غُفر له ، ومن واكل مغفوراً . . غفر له ، ومن جلس مع الصالحين . . زاد رغبة في الخير) .

وقال سيدي أحمد بن زين الحبشي رحمه الله ونفعنا به : (الفهم نورٌ يُشرِق في القلب ، ولا يعطاه إلاَّ من جالس الصالحين وطالع كتبهم) اهـ

وَاعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ : أن هـٰذه الفوائد وغيرها تحصل لمن جالس الصالحين وتأدَّب بظاهره وباطنه معهم ؛ فالشأن كل الشأن في الأدب ، وإلاَّ . . فقد قيل : ليس الحرمان ألاَّ ترزق مجالسة الصالحين ، ولـٰكن الحرمان كل الحرمان أن ترزق الصالحين ثم لا ترزق الأدب معهم .

ثُمَّ اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ : أنه إذا لم تتفق لك مجالسة الصالحين ، أو لم تقدر عليها كل حين . . فالحذرَ كلَّ الحذرِ من النزول إلىٰ أسفل السافلين ؛ وذلك بأن تجلس مع الغافلين والفاسقين ، وارجع إلىٰ ذكر سِيَر الصالحين وأحوالهم وأعمالهم ، وقراءة كتبهم وأقوالهم ، وقصائدهم وحكاياتهم في زهدهم وورعهم ، وقناعتهم وخمولهم ، وعباداتهم وأخلاقهم ؛ فعند ذكرهم تنزل الرحمة ، قال بعضهم : إذا فاتك لقاؤهم . . ففي كلامهم حياة القلب والبصيرة .

قال سيدنا الحبيب عبد الله بن علوي الحداد رضي الله عنه ونفعنا به :

فـإن أحـاديـث الأحبـة مـرهـمٌ لقلبي من الدَّاء العضال المخامرِ

إذا فـاتنـي قـرب الأحبـة واللقـا ففي ذكرهم أُنسٌ لوحشة خاطري
فتذكارهم راحي وروحي وراحتي يطيب به قلبي وتصفو ضمائري
إذا لم يصبها وابل صَيِّب الندى فطَـلٌّ بـه تحيـا مـوات سـرائـري

وقال سيدنا أحمد بن زين الحبشي : (اعلم : أن من أعظم العلوم نفعاً ، وأشدّها في حياة القلوب وقعاً معرفةَ سير الأولياء العارفين ؛ الذين هم بأفعالهم وأقوالهم على الله دالين ، فيحصل بذلك حسن الظن بهم ومحبتهم الموصلة إلىٰ أعلى الرتب ؛ لقوله عليه الصلاة والسلام : « المرء مع من أحب ») .

وقال سيدنا الحبيب عمر بن سقاف رحمه الله : (اعلم : أن أنفع شيءٍ للسالك الذاكر ، وأولىٰ ما يَتنبه ويَتيقظ به الغافل القاصر . . ذكر سير الصالحين من المتقدمين والمتأخرين ، خصوصاً صلحاء الأعصار القريبة ؛ لكونهم أقبلوا على الله في زمان الإدبار ، وبصَّرهم الله حين عميت الأبصار ، وزهدوا وقنعوا باليسير لمَّا عمَّ الحرص والطمع في هـٰذه الدار) اهـ

قال سيدنا الغزالي رحمه الله ونفعنا به في كتاب العزلة من « الإحياء » : (ويكفي في تغيير الطبع مجرد سماع الخير والشر فضلاً عن مشاهدته ، وبهـٰذه الدقيقة يُعرَف سر قوله صلى الله عليه وسلم : « عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة » ، فإنما الرحمة دخول الجنة ولقاء الله ، وليس ينزل عند الذِّكر عينها ولـٰكن سببها ؛ وهو انبعاث الرغبة من القلب ، وحركة الحرص على الاقتداء بهم ، والاستنكاف عمَّا هو ملابس له من القصور والتقصير ، ومبدأ الرحمة فعل الخير ، ومبدأ فعل الخير الرغبة ، ومبدأ الرغبة ذكر أحوال الصالحين ، فهـٰذا معنىٰ نزول الرحمة .

والمفهوم من فحوىٰ هـٰذا الكلام عند الفَطِن كالمفهوم من ضده ؛ وهو أن عند ذكر الفاسقين تنزل اللعنة ؛ لأن كثرة ذكرهم يُهوِّن على القلب أمر المعاصي ، واللعنة هي البعد ، ومبدأ البعد من الله هو المعاصي والإعراض عن الله بالإقبال على الحظوظ العاجلة والشهوات الحاضرة لا على الوجه

المشروع ، ومبدأ المعاصي سقوط ثقلها وتفاحشها عن القلب ، ومبدأ سقوط الثقل وقوع الأُنس بها بكثرة السماع .

وإذا كان هـٰذا تأثير ذكر الصالحين والفاسقين . . فما ظنك بمشاهدتهم ، بل قد صرَّح بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : « مثل الجليس السوء كمثل صاحب الكير إن لم يحرقك بشرره . . علق بك من ريحه » ، فكما أن الريح يعبق بالثوب ولا يشعر به . . فكذلك يسهل الفساد على القلب وهو لا يشعر به .

وقال : « مثل الجليس الصالح مثل صاحب المسك إن لم يهب لك منه . . تجد رائحة طيبة ») انتهىٰ كلام سيدنا الغزالي .

أقول : وقد كثر في زماننا هـٰذا ذكر الشر والأشرار ، وكثرة الخوض والكلام ، والقيل والقال في الفضول وفيما لا يعني ، وفي الغيبة والنميمة ، وذكر معاصي وقبائح تجري ، وتركوا ذكر الصالحين ومذاكرة العلوم التي تنفعهم ، والسؤال عمَّا يعنيهم .

قال سيدنا الحبيب عمر بن سقاف : (وممَّا يشرح الصدر ، ويُذهِب الهم . . تركُ مجالس العامة المشتملة على اللغو والسخرية بالناس وذكر عيوبهم ، وتضييع الوقت في البطالة والجهالة ، وكثرة القال في حوادث الزمان بغير اعتبار ، وكثرة القال في حوادث الظلم وفعله ، وكثرة الخوض في ذلك كله باعتراضٍ وإنكارٍ ، فكل ذلك ممَّا يكدر صفاء أهل الإيمان ، ويشوّش قلوبهم المنيرة ، فليبادر إلى العزلة والعبادة ، ويأخذ كتاباً يهديه ، ويُسلِّيه ويصفِّيه ، وينظر سِيَر السلف الصالح وما ابتُلوا به أو صبروا عليه ، ورجوعهم إلى الله ، ويتحقَّق أن ذلك كله ـ أعني البلاء والامتحان ـ للخاص والعام ، تقريب لهم إلى الله تعالىٰ وإلىٰ رضاه ، ومكفر لسيئاتهم وموفِّر لحسناتهم ، وموجب للتوبة والندم ، وفي الحديث : « الكلام في الفتنة دم يقطر ») اهـ

ومن كلام الحبيب عمر بن سقاف رحمه الله أيضاً : (ومن الأسباب الجالبة

للسرور ، والمتممة للنور والحضور : العزلةُ عن أهل هـٰذا الزمان الفاسد الذي غلب فيه الشر والأشرار ، وقلَّ فيه الصالحون والأخيار ، وغلب علىٰ أهله طلب الدنيا وجمعها ، والسعي لها بالقلوب والقوالب ؛ كما قال سيدنا الحداد :

تنافَسُوها وأعطَوْها قوالبهم مع القلوب فيالله من عجب

وصار المنظور إليهم بالصلاح ، والمطلوب منهم الهداية والفلاح ، في غفلةٍ وغواية ، وضلالةٍ وعماية ، قد كسفت قلوبهم بالأهواء وكل خُلُقٍ مذموم ، فلا يُستفاد من مجالسهم إلاَّ همومٌ وغمومٌ ، وسوء ظنون ، واعتراض علىٰ ما كان أو يكون ؛ فالعزلة حينئذٍ فرضٌ لازم ، وخير الغنائم) اهـ

فتعيَّن من هـٰذا الكلام أنه لا يحضر مع الناس إلاَّ في الجمعة والجماعات ، أو مجلس تعلُّم أو تعليم ، أو ذكر الله تعالىٰ ، ولأجل معاشه الذي لا بدَّ له منه مع التحفظ التام ؛ من النظر والسماع والكلام ، إلىٰ كل ما فيه ملام أو حرام ، ومع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لمن رأىٰ فيه مخايل القبول ، والله يهدي من يشاء إلىٰ صراط مستقيم ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا ، وكفِّر عنا سيآتنا ، وتوفنا مع الأبرار ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمدٍ وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

فَائِدَةٌ أُخْرَىٰ

اِعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ : أن الإنسان يحب أشياء ويودها ، ويشتهيها ويتمناها ؛ وهي كل ما يلائمه ويوافقه ، وفيه راحته ولذته ، ويكره أشياء ؛ وهي كل ما هو ضدٌّ لذلك ممَّا يؤذيه ويؤلمه ، ويشوِّش عليه ، وهو مع ذلك لا يعلم الأصلح له في دينه ودنياه من ذلك .

ثم إن الأمور كلها بيد الله سبحانه ، وجارية علىٰ ما تقدم في سابق علمه ، وعلىٰ ما أراده وقضاه وقَدَّره ، فإذا أراد الإنسان أن تجيء الأشياء علىٰ حَسَب ما يلائمه . . لم يُعطَ ما أراد إلاَّ إن كان قد كتبه الله له ، وجرت الأشياء علىٰ

ما سبق في الأزل ، وكان ذلك الإنسان مذموماً من جملة وجوهٍ :

منها : عدم رضاه بقضاء الله وقدره ، وأن الأمر جرىٰ وهو متألمٌ به .

ومنها : فوات ثواب المصيبة .

ومنها : سوء الأدب مع الله ؛ إذ لله أن يفعل في ملكه ما يريد ، وإن وفَّق الله العبدَ وأعطاه الرضا والتسليم ، وفوَّض الأمر لله الحكيم العليم . . جرتِ الأشياء علىٰ ما سبق في الأزل ، وكان ذلك الإنسان محموداً ومأجوراً ، ومحسناً ومشكوراً ، ولم يتعب بما جرىٰ ، وهٰذا في غير المعاصي والمنكرات ، فأما المعاصي والمنكرات . . فيجب إنكارها وكراهتها ، وبغض فاعلها من حيث كونها منكراً ومنسوبة إلىٰ فاعلها ، لا من كونها بقضاء الله وقدره ، والدعاء لا يناقض الرضا .

اللهم ؛ إنا نسألك العافية في الدنيا والآخرة ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

فَائِدَةٌ أُخْرَىٰ

اِعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ : أن أكثر ما يسمعه الإنسان ، وينظره في هٰذا الزمان ممَّا يشوّش الجنان ، ويوقعك في العصيان ، ويكسف البال ويكشف الحال ، ويُدخل عليك الهموم والغموم ، فلا تكاد تسمع ولا تنظر إلاَّ ما تكره .

فينبغي لطالب سلامةِ دينه ، وصفاء باله ، وحفظ حاله : أن يصون سمعه ونظره عن أخبارِ وأحوالِ أهل هٰذا الزمان جهدَه وطاقته ؛ لأن أكثرها ممَّا لا يرضاها الله ورسوله ، فلا ينبغي أن يستدعيهَا بالسؤال والتطلُّع عنها ، ويكفيه إثماً ومشوِّشاً ما يدخل عليه كرهاً وغصباً من غير اختيارٍ ولا طلب ، ولْيُكثِرْ من سؤال العافية والسلامة في الدنيا والآخرة ، له ولأهله وللمسلمين .

اللهم ؛ أحينا سالمين ، وتوفَّنا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين في عافيةٍ وسلامةٍ ، آمين ، وصلَّى الله علىٰ سيدنا محمدٍ وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

فَائِدَةٌ أُخْرَىٰ

اِعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ : أنه قد قَلَّ في هـٰذا الزمان الصفاء والأُنْس ، وكثرت فيه الهموم والغموم والمشوشات ، فعلى الإنسان أن يقابل ذلك بالرضا والسكون ، والتسليم وعدم التبرم ، ولا يطلب الخلاص منها بحوله وقوَّته ؛ فإنك لا تكاد تخرج في طلب الخلاص منها والسعي في إزالتها إلاَّ وترجع بهموم وغموم أخرىٰ فوق ما أنت فيه قبل الطلب ؛ وذلك لسوء أدبك مع ربك حيث أردت إيجاد شيءٍ لم يردِ الله إيجاده .

قال سيدنا الحبيب عبد الله بن علوي الحداد رحمه الله تعالىٰ :

وإذا الحوادث أظلمت وتنكَّرتْ فاسكن وإياك التحركَ والحذَرْ

فمن حق العبد إذا رأى الأشياء تكدرت وتنكرت ، وتشوشت وتغيرت . . أن يسكت ويسكن ويتأدب ولا يتحرَّك لا بظاهره ولا بباطنه ؛ لا بظاهره بطلب التفرُّج والمضحكات والتنزهات ، ولا بباطنه بالإنكار على الله وعلىٰ قضائه وقدره لا بلسانه ولا بقلبه ، ولـٰكن ينظر في ذلك المكدر والمشوش ؛ فإن كان من الأشياء التي تأتي بواسطة بني آدم مثل النهب والضرب والتخويف والإيذاء ونحوها . . لزم إنكارها بقلبه ولسانه ويده إن قدر علىٰ ذلك ـ كما هو مقرَّرٌ ومحرَّرٌ في بابه ـ وعليه الرضا والتسليم من حيث كونها بإرادة الله تعالىٰ ومشيئته ، وعليه أن يكثر من الاستغفار وكثرة الدعاء واللجأ إلى الله سبحانه بالافتقار والاضطرار والانكسار ، ويتوب إلى الله سبحانه من جميع الذنوب والأوزار .

وإن كانت المكدِّرات واصلة من غير واسطة آدمي مثل الجرب والأمراض ، والعاهات والآفات . . فلا فيها إلاَّ الرضا والتسليم وما ذكرناه من الاستغفار والدعاء ، والتوبة وإكثار الصدقة ، والتوادد والتراحم .

اللهم ؛ عافنا من بلائك ، والطف بنا في قضائك ، وهب لنا ما وهبته لأوليائك ، في عافية وسلامة ؛ إنك علىٰ كل شيءٍ قدير ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمدٍ وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

فائدة أخرى

اعلم رحمك الله : أن السلامة والعافية في الدِّين والدنيا والآخرة عزيزةٌ ، وهي في هـٰذه الأزمنة أعز ، فينبغي لطالب السلامة أو القرب منها إذا تعذَّرتِ السلامة الكاملة من أمورٍ يتحصَّن بها من الآفات المهلكة للدين والدنيا وتشوّش البال . . فأوَّلها بعد إقامة الواجبات وترك المحرمات : الخمول وترك الفضول ؛ فإنِ ابتُلي بشيءٍ من الظهور . . فلا يُبقي جهداً في تخميل الأشياء المؤدية إلى الظهور وقطع أسبابها ، وإن لم يقدر على الكل . . فليقطع ما قدر عليه منها .

والثاني : الاعتزال عن الناس ، وترك ما هم فيه من هـٰذه العوائد والقيل والقال بالكلية بالمرة .

والثالث : إذا ابتلي بأحدٍ منهم وأتاه إلىٰ محله أو اتفق . . فليداره وليجامله إلىٰ أن يتخلَّص منه ، والحذرَ كل الحذر من العنف والغلظة والفظاظة معه ؛ فإن تحت ذلك الشرَّ الهائل الذي لا يُطاق ، وربما يدوم باقيَ العمر ، أو يبقىٰ بعده لأولاده ، وفي صبر ساعة وتجرُّع مرارتها سلامة من ذلك كله .

قال سيدنا الغزالي رحمه الله في « البداية » : (والناس ثلاثة : أحدهم مَثَلُه مَثَلُ الغذاء لا يستغنىٰ عنه ، والثاني : مثله مثل الدواء لا يحتاج إليه إلاَّ في وقتٍ دون وقت ، والثالث : مثله مثل الداء لا يحتاج إليه قط ، ولـٰكن العبد قد يبتلىٰ به فتجب مداراته إلى الخلاص من شره) اهـ

فانظر لقوله : (فتجب مداراته إلى الخلاص من شره) ، ولله درُّ الشاعر حيث قال :

ما دمتَ حيًّا فدارِ الناسَ كلَّهم ... فـإنمـا أنـت فـي دار المـداراةِ
مَن يَدْرِ داریٰ ومن لم يَدْرِ سوف يُرى ... عمَّـا قـريـب نـديمـاً للنـدامـاتِ

كيف ؛ وقد قال صلى الله عليه وسلم : « رأس العقل المداراة » ، وفي

حديثٍ آخر : « رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس » ؟!

فعُلم بهـٰذا : أن تركهم أسلم وأولىٰ ، وإن لم يقع . . فالمداراة أهون الشرين .

والرابع : أن يقتصر في مداراة أهل الشر على القدر الذي يراه دفعاً لشرهم بأقل مجزىء ؛ لأنه إنما أبيح للضرورة ، فإن زادت مداراته لهم حتىٰ مالت إلى التحبُّب والتودد لهم . . تولدت منها شرور كثيرة وآفات عظيمة تقارب أو تزيد علىٰ مقابلتهم بالفظاظة والغلظة ، فكن كالطبيب الماهر يَضع الدواء بقدر العلة ، والحمية رأس الطب ؛ فعليك بها ما لم تُغلَب .

والخامس : أن تواظب علىٰ أوراد الصباح والمساء وبقية الأذكار والتعوّذات ، والاشتغال بالعلوم النافعة والأعمال الصالحة ؛ بحيث لا تجد متسعاً لخطاب الناس وكلامهم ؛ فعساك إذا استعملت هـٰذه الخصال . . أن تسلم من فتن هـٰذا الزمان وشره ، ولا عاصم من أمر الله إلاَّ من رحم الله .

اللهم ؛ ارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين ، اللهم ؛ سلِّم سلِّم يا سلام سلِّم ، رب سلِّم سلِّم ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمدٍ وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين ، باسم الله والحمد لله ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمدٍ وآله وصحبه وسلم .

فَائِدَةٌ أُخْرَىٰ

اِعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ : أن المنازعة والمخاصمة مع الناس الأجانب ـ فضلاً عن الأقارب ـ من أضر شيءٍ على الإنسان في دينه وحاله ، وباله وماله ، ومشوِّشٌ له في صلاته وقراءته ، وذكره وأوراده ، ويقظته ومنامه ، وجميع حالاته ومُحْوَج إلىٰ مكالمة الأراذل والأنذال ، والأضداد ومن لا خير فيه ؛ المشائين بالنميمة المفرقين بين الأحبة ؛ فهـٰذه الآفات ممَّا توجب تركها ـ وإن كانت لأجل مالٍ جزيلٍ ـ فكيف وهي أيضاً مِن لازِمِها الغِيبةُ والكذب ، والكبر

والعُجب وسوء الخلق ، والمباغضة والمحاسدة وغيرها من الفواحش ، بل ما من رذيلةٍ إلاَّ وهي مشتملة عليها ، قال صلى الله عليه وسلم : « إن أبغض الرجال إلى الله الأَلَدُّ الخَصِمُ » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من جادل في خصومةٍ بغير علمٍ . . لم يزل في سخط الله حتىٰ ينزِع » .

وقال بعض العلماء : إياكم والخصومة ؛ فإنها تمحق الدِّين ، ويقال : ما خاصم قَطُّ وَرِعٌ في الدين .

قال في « الإحياء » : (قال ابن قتيبة : مرَّ بي بشر بن عبد الله بن أبي بكر ، فقال : ما يجلسك ؟ فقلتُ : خصومة بيني وبين ابن عم لي ، فقال : إن لأبيك عندي يداً وإني أريد أن أكافئك بها ، والله ؛ إني ما رأيتُ شيئاً أذهَبَ للدين ، ولا أنقصَ للمروءة ، ولا أضيع للذة ، ولا أشغل للقلب من خصومة ، قال : فقمتُ لأرجع ، فقال خصمي : ما لك ؟ فقلت : لا أخاصمك ، قال : عرفتَ أنه حقي ، قلتُ : لا ، ولٰكني أكرم نفسي من هٰذا ، قال : فإني لا أطلب منه شيئاً هو لك .

فالعجب كل العجب ممَّن يعلم ما في الخصام من هٰذه الرذائل والمتاعب ، بل قد وجدها وذاقها وجربها ولا يُكْرم نفسه عنها ؛ فإنها إذا تمادت وطالت ربما أدّت إلى القتل والكفر والعياذ بالله .

اللهم ؛ اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلاَّ أنت ، واصرف عنَّا سيئها لا يصرف سيئها إلاَّ أنت ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

تمت الفوائد السنية المسماة « بفرائد الفوائد من فتح جميل العوائد » لسيدنا الإمام الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر رحمه الله تعالىٰ ونفعنا به .

فَائِدَة

وجد بخط المؤلف لهـٰذه الفوائد ما نصه :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لا إلـه إلاَّ الله الموجود في كل زمان ، لا إلـه إلاَّ الله المعبود في كل مكان ، لا إلـه إلاَّ الله المذكور بكل لسان ، لا إلـه إلا الله المعروف بالإحسان ، لا إلـه إلا الله كلَّ يوم هو في شَأْن ، لا إلـه إلا الله الأمان الأمان من زوال الإيمان ، ومن فتنة الشيطان ، يا قديم الإحسان ؛ كم لك علينا من إحسان، إحسانك القديم ، يا حنان يا منان ، يا رحيم يا رحمـٰن ، يا غفور يا غفار ؛ اغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

تمت من خط من قال : نقلت من خط المؤلف